

12290 - لا تعارض بين نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا واستوائه على العرش

السؤال

عندما يُطرح على السؤال "أين الله؟" ، أجيب ، بأنه "فوق السماوات السبع والعرش".
لكن، إذا أخذنا الحديث الذي فيه أن الله ينزل للسماء السفلی في آخر جزء من الليل،
فإذا سأله شخص ، أين الله؟ ، وذكر بأن الوقت (عند طرح السؤال) هو آخر ثلث من الليل ، فما هو الرد الذي يقال له؟ ونقطة أخرى هي
أن بعض الناس يقولون بأن الجزء الأخير من الليل هو مستمر في كل الوقت (في مكان ما من الأرض وفي وقت محدد من الزمن) ،
ومن ذلك فإنهم يستنتجون أن الله ليس على عرشه .

الإجابة المفصلة

يجب علينا أولاً معرفة عقيدة أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته . فعقيدة أهل السنة والجماعة هي إثبات ما أثبتته الله لنفسه
من الأسماء والصفات من غير تحرير ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، ويعتقدون ما أمرهم الله باعتقاده فقال تعالى : (ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير) .

وقد أخبرنا الله سبحانه عن نفسه فقال تعالى : **«إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ»** الأعراف/54 وقال تعالى : **«الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»** طه/5 وغيرها من الآيات التي فيها ذكر استواء الله تعالى على
عرشه .

واستواء الله تعالى على عرشه ، علوه عليه بذاته ، علوه خاصاً يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيتها إلا هو .

وقد ثبت كذلك في السنة الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى ينزل في الليل فعن أي
هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «يَنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَنْقَنُ ثُلُثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ
فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَغْطِيهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» رواه البخاري (كتاب التوحيد/6940) ومسلم (صلاة
المسافرين/1262) .

والنزول عند أهل السنة معناه : أنه ينزل سبحانه بنفسه إلى السماء الدنيا نزولاً حقيقة يليق بجلاله ولا يعلم كيفيته إلا هو .

ولكن هل يستلزم نزول الله عز وجل خلو العرش منه أو لا؟ قال الشيخ ابن عثيمين في مثل هذا السؤال : نقول أصل هذا السؤال تنطُّع
وإيراده غير مشكور عليه مورده ، لأننا نسأل هل أنت أحرص من الصحابة على فهم صفات الله؟ إن قال : نعم . فقد كذب . وإن قال : لا
قلنا فليُسْعِكَ ما وسعهم ، فهم ما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : يارسول الله إذا نزل هل يخلو منه العرش؟ وما لك

ولهذا السؤال ، قل ينزل واسكت يخلو منه العرش أو ما يخلو ، هذا ليس إليك ، أنت مأمور بأن تصدق الخبر ، لا سيما ما يتعلق بذات الله وصفاته لأنه أمر فوق العقول .

"مجموع فتاوى الشیخ محمد العثیمین" 204-1/205

قال شیخ الإسلام رحمة الله في هذه المسألة : والصواب أنه ينزل ولا يخلو منه العرش ، وروح العبد في بدنه لا تزال ليلاً ونهاراً إلى أن يموت ووقت النوم تعرج .. قال : والليل يختلف فيكون ثلث الليل بالشرق قبل ثلثه بالغرب ونزوله الذي أخبر به رسوله إلى سماء هؤلاء في ثلث ليالهم وإلى سماء هؤلاء في ثلث ليالهم لا يشغله شأن .. انظر مجموع فتاوى ابن تيمية 5/132

والاستواء والنزول من الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئة الله . فأهل السنة والجماعة يؤمّنون بذلك ، ولكنهم في هذا الإيمان يتحاشون التمثيل والتكييف ، أي أنهم لا يمكن أن يقع في نفوسهم أن نزول الله كنزو المخلوقين واستواءه على العرش كاستواههم ، لأنهم يؤمّنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ويعلمون بمقتضى العقل ما بين الخالق والمخلوق من التباين العظيم في الذات والصفات والأفعال ولا يمكن أن يقع في نفوسهم كيف ينزل ؟ وكيف استوى على العرش ؟ والمقصود أنهم لا يكّيرون صفاته مع إيمانهم بأن لها كيفية لكنها غير معلومة لنا وحيثند لا يمكن أبداً أن يتصور الكيفية .

ونحن نعلم علم اليقين أن ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهو حق لا ينافق بعضه بعضاً لقول الله تعالى : (أفلا يتذمرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) ولأن التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضاً وهذا محال في خبر الله تعالى ورسوله .

ومن توهّم التناقض في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو بينهما إما لقلة علمه أو قصور فهمه أو تقصيره في التدبر ، فليبحث عن العلم وليجتهد في التدبر حتى يتبيّن له الحق . فإن لم يتبيّن له الحق فليتّكل الأمر إلى عالمه وليكف عن توهّمه وليقل كما قال الراسخون في العلم : (آمنا به كل من عند ربنا) وليعلم أن الكتاب والسنة لا تناقض فيهما ولا بينهما اختلاف . والله أعلم

انظر "فتاوى ابن عثيمين" 237-3/238

وتوهّم تعارض النزول إلى السماء الدنيا مع الاستواء على العرش والعلو فوق السماء ناشئ عن قياس الخالق على المخلوق ، وإذا كان الإنسان لا يتصرّر بعقله غيبيات مخلوقة كتعيم الجنة فكيف يستطيع أن يتصرّر الخالق عز وجل علام الغيوب ، فنؤمن بما ورد من الاستواء والنزول والعلو لله ونشتبه كما يليق بجلاله وعظمته .